M. 15

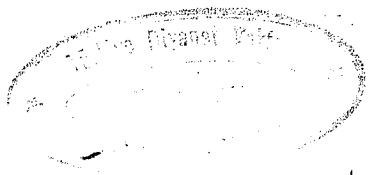

محمد إسبر
محمد أبو علي

معجم علم العروض

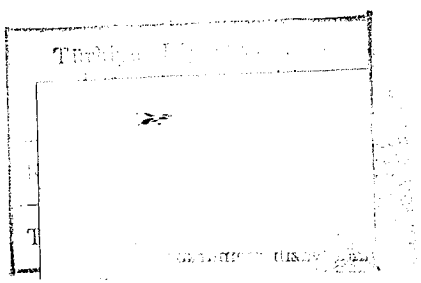

دار العودة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة لدار العودة

الطبعة الأولى
١٩٨٢

دار العودة ـ بيروت
كورنيش المزرعة
بناية الريفيرا سنتر

تلفون : ٣١٨١٦٥ ـ ٣١٠٨٤٠ ٨١٥٣٣٥
ـ تلكس ـ LE AWDA ٢٣٦٨٢

تنويه

نتوجه بالشكر لكل الذين ساهموا بإصدار هذا الكتاب من حيث تقديم المراجع والمصادر والمشورة ، ولكل العاملين في دار العودة ، ونخص بالذكر الأستاذ إبراهيم مهدي لما أبداه من غيرة صادقة وتفانٍ مخلص .

المؤلفان
محمد أبو علي محمد اسبر

تعريف

علم العَروض : علم به يعرف وزن الشعر .

أسسه الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي .

ولد في عمان عام ١٠٠ هـ وتوفي بين عامي ١٧٠ هـ و١٧٥ هـ في البصرة . درس الحديث وفقه اللغة على أيوب السختياني وعاصم الأحول والعوّام بن حوشب وغيرهم . كان عالما باللغة والموسيقى ، وهو صاحب معجم العين (ومنهم من يقول إن الليث بن المظفر أحد تلاميذه هو صاحب المعجم) .

وضع الخليل علم العروض وحصر أبحره فكانت خمسة عشر بحراً ، وكان هدفه ايجاد طريقة لحفظ الشعر العربي في مواجهة الإختلال الذي أخذ يطرأ على الأوزان مع دخول عناصر غير عربية في الدولة يومذاك .

وبعد الخليل استدرك تلميذه الأخفش الأوسط ـ أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت ٢٢١ هـ ـ بحراً سمّاه المتدارك .

معاني العروض :

يقول الخليل في كتاب العين :

العروض : « عروض الشعر لأن الشعر يعرض عليه ، ويجمع أعاريض وهو فواصل الأنصاف ، والعروض تؤنث والتذكير جائز ، والعروض طريق في عرض الجبل ، وهو ما اعترض في عرض الجبل في مضيق ويجمع عروض » .

المستشرق « فايل » يؤكد أن مصطلح العروض اشتق من المعنى الحقيقي الملموس لكلمة (عروض) التي تشير إلى عمود أو قطعة من الخشب في وسط الخيمة ، والتي تشكل الدعم الرئيسي لها . من هنا يقول

« فايل » « سمي الجزء الوسيط من البيت الشعري « عروضا » لأن هذا الجزء ـ أي الجزء الأخير من الصدر ـ هو مركز بيت الشِّعر ، وأهميته فيه تعادل أهميته في بيت الشَّعر » .

ابن خلكان : في « تاريخ وفيات الأعيان » يؤكد أن الخليل دعا ربه أن يعرف علما لم يسبق إليه ، فكان له ذلك في مكة ، فسمى هذا العلم بالعَروض ـ وهو أحد أسماء مكة ـ تيمنا بها .

. . . وهناك تعليلات شتى لكلمة (عروض) مثال ذلك :

ـ اسم للمدينة المنورة .
ـ اسم لعُمان .
ـ الطريق الصعبة (أو الصعب) .
ـ السحاب الرقيق .
ـ الناقة التي يصعب قيادها .
ـ ناحية من النواحي . . . الخ .

على أنه يجدر بنا التنويه بتعريفين أحدهما وارد في لسان العرب والثاني في العمدة :

التعريف الأول يقول : « سمي عروضاً لأن الشعر يعرض عليه » .
والتعريف الثاني يقول : « اسم لعلم يعرض عليه الشعر » .

ولا بد هنا من أن نصوّب صيغة التعريف القائل :

« إن العروض علم يعرف به صحيح الشعر من فاسده » . ونقول : « إن العروض علم يعرف به صحيح وزن الشعر من فاسده » ـ بموجب النظام الخليلي ـ .

ثم من المفيد القول إن هذه التعليلات التي ذكرناها ذات صلة وثيقة بعضها بالبعض الآخر على الرغم من ادعاء كل من أصحاب النظريات بانفراد تعليله بالصحة .

هناك من يؤكد التصاق هذا المصطلح بواقع الصحراء ، وهناك من

يصر على كون هذا المصطلح اسماً لعلم قائم بذاته . وفي رأينا والمطلوب ، هو الموازنة بين الرأيين بالربط بين واقع البيئة من جهة ، وبين المصطلح من جهة أخرى ، هذا ، علماً بأنّ هناك مفهومات كثيرة كانت لها دلالات مختلفة ثم بفعل الاستعمال خرجت من حيّز إلى آخر ، وما وجود (المصدر الصناعي) في اللغة العربية إلا شاهد على ما نقول .

تبقى أمامنا مشكلة لغوية : وهي كون صيغة « فعول » من صيغ المبالغة التي تتضمن سمة **الفاعلية للمؤنث** كأن تقول : فلانة نؤوم ، أي كثيرة النوم ، أما صيغة « عروض » هنا فهي تحمل سمة **المفعولية للمذكر** لأنها تدل على كثرة عرض الشعر على هذا العلم. وهكذا نجد أنفسنا أمام مفارقة .

للخروج من هذا المأزق نلجأ مرة أخرى الى طرح رأي وسيط يقول : إن هذا الاسم استعير من واقع الصحراء ووجد له صيغة صرفية فالتزمها .

الصلة بين العروض والموسيقى :

تقوم الموسيقى على تقسيم الجمل إلى مقاطع صوتية تختلف طولاً وقصراً أو إلى وحدات صوتية معينة مبنية على نسق معين ، بغض النظر عن بداية الكلمة ونهايتها ، وكذلك العروض ؛ فالكتابة العروضية تقوم على أمرين : ما ينطق به يكتب ، وما لا ينطق به يهمل عروضياً .

منابع هذا العلم :

قيل إن الخليل نقله عن العروض اليوناني ، وقيل إنه نقله عن الأوزان الفارسية وقيل عن السنسكريتية ، وقيل إنه استوحاه من الشعر والبيئة العربيين . ونحن نميل الى الاعتقاد بأن الخليل أفاد ـ بفضل عبقريته الفذة ـ من مجمل الثقافة الإنسانية بعد استيعابه ثقافة قومه ، خصوصاً إذا تذكرنا الإشارات الى أن العرب كانت تستعمل في الجاهلية مفتاحاً ايقاعياً ، اسمه **التنعيم** ؛ إذ يحكى أنِ الخليل مرّ بشيخ يعلّم صبياً له ، أصول النظم بطريقة :

نعمْ لا نعمْ لا لا نعمْ لا نعمْ لا لا .

فسأله عن ذلك فقال : « **هذا هو التنعيم** » .

إن صحت الرواية أمكن الاستنتاج أن التنعيم أخذ معادلاً عروضياً عند الخليل :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن .

وقيل إن العرب كانوا على معرفة بأوزان الشعر دون تحديد التفاعيل فقد كانوا يكررون مثلاً شطر بيت لامرىء القيس ، وينسجون على إيقاعه ، ويسمون هذا المكرر بـ (**المتر**) أو (**المقطوع**) .

أعلام العروض :

كُثُرٌ هم ، ولكن أبرز من عمل في هذا العلم ـ من حيث الزيادة أو التعديل ـ بعد الخليل هو الأخفش الأوسط تلميذه، فقد أضاف بحراً استنبطه من دائرة المتقارب ، فكان المتدارك ، ثم أضاف بعض النماذج الإيقاعية ضمن البحور الخليلية نفسها كمجزوء المتقارب الأبتر وهو نوع من مجزوء المتقارب ، تُصبح فيه **فعولن = فعْ** . وبعد الأخفش يأتي صاحب الصحاح أبو نصر اسماعيل بن حمّاد الجوهري الذي خالف الخليل في عدد الأبحر فجعلها إثني عشر بحراً ـ وفيها المتدارك ـ سبعة مفردة وخمسة مركبة من البحور السبعة الأولى .

البحور المفردة (أي التي لم تتركب من بحور أخرى) :

١ ـ متقارب
٢ ـ هزج
٣ ـ رمل
٤ ـ رجز
٥ ـ متدارك
٦ ـ وافر
٧ ـ كامل .

البحور الخمسة المركبة من الأولى :

١ ـ الطويل (مركب من المتقارب والهزج)
٢ ـ المضارع (مركب من الهزج والرمل)
٣ ـ الخفيف (مركب من الرمل والرجز)
٤ ـ البسيط (مركب من الرجز والمتدارك)
٥ ـ المديد (مركب من المتدارك والرمل) .

أما الوافر والكامل فلم يتركب منهما بحر لما فيهما من الفاصلة ، وزعم الجوهري أن السريع من البسيط ، والمنسرح والمقتضب من الرجز ، والمجتث من الخفيف ، واعتبر كذلك أن **فاعِ لاتن** هي نفسها **فاعلاتن** وأن **مستفعِ لن** هي نفسها **مستفعلن** .

بعد هذا العرض السريع ، نأتي إلى معجمنا ؛ فقد اعتمدنا فيه طريقة البحث عن المصطلح ، كما هو ، بعد طرح (أل) التعريف ، فمثلاً : العروض تجده في (عروض) من باب الغين والطويل في « طويل » . . . مع مراعاة الترتيب الهجائي للحروف .

محمد أبو علي **محمد اسبر**